



دراسات

تلقى جامعة بريفان الحكومية مؤخراً، وللمرة الثالثة على التوالي، مشورات من تركيا صادرة عن المركز الثقافي للأبحاث العلمية في انقرة باللغتين الانكليزية والروسية مرفقة برسالة توضيحية حول تلك المنشورات والقضايا التي تهم مركز الابحاث المذكور أعلاه. وعليكم ما ورد في تلك الرسالة التوضيحية نقدمها للقراء الأعزاء.

«نرسل اليكم بعضاً من نماذج المؤلفات التي نصدرها ونهديها الى مكتبتك ونأمل ان تتلقى ردمكم السريع ورأيكم حولها. ونحن من جهتنا سنقدر عالياً ردودكم. أما في حال عدم الاستجابة لرسائلنا فسيعني ذلك ان تلك المؤلفات لا تهمكم مما سيضطرنا الى عدم إرسالها اي شيء جديد أو المزيد منها في المستقبل مع تحيات واحترام المركز لباحثاته الأبحاث العلمية في تركيا».

ونحن في مسامتنا نعرض لقرائنا الأعزاء قائمة عن الكتب التي تلقيناها من مركز الابحاث التركية الانفة الذكر، ونجد من المناسب طرح رأينا حولها عن طريق الصحافة. ونشير بأن لدينا عدة تصورات عن المؤلفات التي يصدرها مركز الابحاث التركية تلك بما فيها من مؤلفات تتعلق بالقضايا التاريخية للعلاقات الارمنية - التركية. كما ولدينا قائمة بالمؤلفات التي تتحدث عن اصل الأكراد ونشأتهم، وكذلك حول اللغة الكردية وتحليلها، وكتب أخرى تتحدث عن الحياة الثقافية

الأكراد والمسألة الكردية

في علم التاريخ التركي

ميري كوجار

* الترجمة الى العربية عن جريدة «الأدب» الارمنية في بريفان - أرمينا السوفيتية، والناظمة باسم اتحاد الكتاب الارمن. العدد رقم ٢٦ ٢٢٢٨، الصادر في ١٩٨٥/٦/٢٨.

والجوانب السياسية والاجتماعية للأكراد. واليكم عنوان تلك المؤلفات وأسماء مؤلفيها:

١ - (الأكراد في تركستان) تأليف آيدين دائير. حول جذور الأكراد وحياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية. الطبعة الثانية. أنقرة ١٩٨٣.

٢ - (من اللغة التركية القديمة وحتى الكردية المعاصرة). تأليف كاظم ميرشان. أنقرة ١٩٨٣.

٣ - (مداخلات وأبحاث حول لغة الكرمنجي التركية ولغة الظاظا التركية) تأليف الدكتور توبيخ كيلوليسو. أنقرة ١٩٨٣.

٤ - (الأكراد التركيون والتركمان عبر التاريخ). تأليف عصمت بارماكىز أوغلو. أنقرة ١٩٨٣.

٥ - (تاريخ وان وأبحاث حول الأكراد التركيين)؛ تأليف سليمان صبرى. أنقرة ١٩٨٢.

٦ - (المسألة الكردية). تأليف شكري محمد سينان. الطبعة الرابعة. أنقرة ١٩٨١.

٧ - (نيروز) [أي : نيروز - المترجم]. تأليف حاييري باشيوغ. اسطنبول ١٩٨٥.

وبكل التعرض لهذه الكتب والتعرف عليها كنا نعتقد أن الباحثين والمؤلفين الذين يعملون في مركز الابحاث العلمية والثقافية الأتراك ربما كانوا على اطلاع و درية بالمستوى العلمي الذي توصل إليه العلماء والباحثون السوفيت حول دراستهم عن الأكراد ومجمل القضية التي تهم الشعب الكردي وال المستوى الرأقي الذي توصل إليه علماؤنا في هذا المجال. وكنا نعتقد بأن زملاءنا الأتراك يريدون منا إبداء الرأي حول منشوراتهم فقط. لكن لدى تعرضاً وتحليلنا الدقيق لما أورده المؤلفون الأتراك حول الأكراد، جاء ليؤكد مرة أخرى أن دراستهم وأبحاثهم في العلوم الإنسانية وتاريخ الشعوب لازالت مستمرة بتلك الأفكار الشوفينية الضيقة التي تجاول طمس الطابع الفردي للأقليات وتنويعها ضمن بوتقة الطابع العام باعتماد مقاييس غير علمية وغير واقعية.

إن المؤلفين المذكورين يتوزعون إلى البرهان على وجود طابع عام واحد، مبني على خلفيات سياسية تخدم مصالح الفتنة الحاكمة في تركيا ويجهذون ما في وسعهم لتسخير العلم لخدمة هدف التغطية على التناقضات العرقية والقومية في تركيا وعلى الكثير من المشكلات الإقليمية التي لم تحل بعد والمتجرة بالعلم والعلمانية. وكما يبدو جلياً من المؤلفات التركية الأخيرة حول نشأة الأكراد وأصولهم وكذلك حول الطابع الخاص للغة الكردية فإن الأهداف السياسية تلعب دورها في حرف المؤلفين الأتراك عن الاخذ بالمقاييس العلمية أثناء بحث مثل هذه القضية، مما يؤكد مرة أخرى بأن الأفكار العثمانية، بما يخص حركات التحرر بالنسبة للأقليات والضغط على عاداتهم وتقاليدهم التاريخية واللغوية، لازالت تسيد على أفكار هؤلاء المؤلفين الباحثين. وبالرغم من محاولاتهم إضفاء الطابع العلمي على أبحاثهم، فإن المؤلفين الأتراك لم ينجحوا في إقناع قرائهم

عن سبب قيامهم بالابحاث حول الأكراد والهدف الحقيقي الكامن وراء ذلك. فمثلاً نجد في مقدمة مؤلف كاظم ميرشان الموسوم (من اللغة التركية القديمة حتى الكردية المعاصرة) التي كتبها (أعزز بالآن) ما يلي : «إن تلك الأوساط التي تحاول إضعاف وحدتنا القومية تحاول التطاول على وحدة وتماسك اللغة التركية. وتحاول فصل اللغة الشعبية العامة في مناطق أناضول الشرقية عن اللغة التركية الأصلية، بدعوى أن اللغة التركية الشعبية العامة محشوة بالكلمات العربية والفارسية ويحاولون اعتبارها لغة مستقلة».

وهكذا فإن صاحب مقدمة هذا الكتاب يحاول أن يبين أن «حركة هجرة الأتراك إلى مناطق الأناضول قد حدثت قبل الميلاد. وأن الأتراك هم مؤسسو الحضارة في الأناضول. وفي أعقاب ذلك التاريخ بدأت توافد على تلك المنطقة الشعوب البيزنطية والفارسية والعربية مما أدى إلى عرقلة الرقي الحضاري في الأناضول».

أما في مقدمة كتاب (أبحاث حول لغة الكرمنجي التركية ولغة الظاظا التركية)، فإن النتيجة التي يود مؤلفها أن يوصلنا إليها تشبه إلى حد بعيد ما سبق ذكره في الكتاب السابق من حيث المضمون والتصريحات اللا مسؤولة. ففيها يقول : «إن منطقة الأناضول الشرقية تمثل جزءاً لا يتجزأ من الوطن التركي وإن كل سكانها أتراك بصورة مطلقة. وإن اللغة التي يتكلمونها ما هي إلا لهجة من لهجات اللغة التركية. بغض النظر عن أن هذه اللهجات تحمل في طياتها العديد من الكلمات العربية التي انتقلت إليها عن طريق الدين الإسلامي والعديد من الكلمات الفارسية المنقولة من الأدبيات الفارسية، لكن ذلك كله لا يعني شيئاً ولا يغير شيئاً، فمنظور التفكير اللغوي وكذلك الكتابات الاسمية المستعملة كلها تثبت بأن هذه القبائل والشعوب القاطنة في مناطق الأناضول الشرقية هي تركية».

نلاحظ هنا أن جميع المؤلفين الأتراك، ويدون تميز، يصررون على استعمال تعبير جديد هو (الأكراد التركيون) (KürtTürkler) بدلاً من الكلمة الأصلية (الأكراد)، مع أنها لا نعرف مصدر التسمية الجديدة وكيف اخترعواها وهم يصررون بدأب وعناد على إضفاء الصفة العلمية والسياسية على هذا المصطلح. ولدى تفحصنا لما جاء في مؤلفاتهم يتولد الانطباع بأن مركزاً علمياً للأبحاث الثقافية ، يحاول خداع الناس باسم العلم. كما نلاحظ من مؤلفاتهم بأن ليس لدى أصحابها أية فكرة أو حتى تصور عن علم التحليل اللغوي وعلم التقارب ما بين اللغات وعلم تاريخ اللغات ومقارنة أصولها (Etimologıa) ولكي يحاولوا البرهنة على أن الأكراد بعادتهم وتقاليدهم وفولكلورهم هم نفس الأتراك، استنجد أحدهم ويدعى (قولينسو)، بأسلوب مقارنة اللغات، مما أدى به بالتالي إلى الكثير من المغالطات وخلط ما بين مستويات التحليل وأصول اللغات والقواعد. فأكثر الأمثلة التي أوردها هذا المؤلف تستعمل في الحقيقة باللغة الكردية. كما أن بعض الكلمات ذات

الأصول التركية هي عبارة عن كلمات تركية بسيطة، كثيرةً ما تقتبسها اللغات المجاورة من بعضها البعض كما هو الحال في جميع أنحاء العالم. فهذه الاقتباسات اللغوية القليلة جداً والتي لا تتجاوز الواحد بالألف لاتدل بأي شكل ولا تبرهن على أن هاتين اللغتين متقاربتان أبداً أو ذواز أصل واحد. بل على العكس. فهذا الأمر يدعو إلى الدراسة الدقيقة والمستفيضة للأصول التاريخية والظروف الاجتماعية للمصير الذي آتى إليه هذه اللغات التي كانت إحداها تلعب دوراً المؤثر بينما الأخرى دور المتأثر.

وفي محاولة أخرى لاثبات بدعتهم استجدهم هؤلاء المؤلفون بعلم «الأنوماستيكون» الذي يهتم في الواقع الاستدلال على التقارب اللغوي عن طريق أسماء وكنيات الناس. وهذا أيضاً لا يبرهن لنا شيئاً لأنه معروف لنا في الشرق بأن لمعظم الأسماء أصول إسلامية وعربية بصورة خاصة، حتى أن أسماء معظم الأتراك أنفسهم هي عربية وقليل منها من أصل فارسي. عدا عن ذلك، فإن جميع مؤلفاتهم ووثائقهم التاريخية والعقود المستعملة في الدوائر الحكومية، ومنذ قرون طوبلة، كانت تكتب باللغة العربية أو الفارسية. ومن المفروض على المؤلفين والباحثين الأتراك الجدد معرفة هاتين اللغتين لكي يتمنى لهم القراءة والتعرف على الوثائق التاريخية.

وهناك مؤلفون آتراك آخرون يبدو أن شهيتهم أكثر من ذلك. إذ أنهم يحاولون جاهدين لكي يثبتوا بأن اللغة الكردية قد انبثقت من اللغة التركية البدائية. إن هؤلاء المؤلفين يجعلون نتائج أبحاث زملائهم الأتراك في مجال علم تاريخ اللغة التركية المقارنة، فيما يجدر بالذكر أيضاً بأن المؤلفين الآتراك الذي يدعون دراسة اللغة الكردية فإنهم، وكما يبدو من مؤلفاتهم، يجعلون تمام اللغة الكردية، ويدو ذلك جلياً في الكثير من الأخطاء الاملائية والتحويلية والتعبيرية والترجمات الخاطئة. وهنا لا يسعنا إيراد الأمثلة الكثيرة حول جهلهم هذا لأننا سنضطر حينئذ إلى ذكر كل كتاب على حدة صفة بصفحة.

ونحن من جانبنا نعرفكم على المستوى الذي وصل إليه العلماء في العالم (على الاستشراق) حول الأكراد وذلك فيما يخص أصولهم والمسائل المتعلقة بالموطن اللغوي للغة الكردية وغيرها من المواضيع ذات الصلة.

ان اللغة الكردية تتبع إلى مجموعة اللغات الإيرانية الشمالية الغربية والتي تنقسم من حيث اللهجات إلى قسمين رئيسيين: الكرمنجية: التي يتحدث بها الأكراد في أرمينيا، تركيا، شمال سوريا، الصورانية أو الكوردي: التي تجمع لهجات لغة المناطق المتاخمة المنتشرة ما بين العراق وإيران. وانطلاقاً من علم المقاييس الشكلية للألفاظ اللغوية (Phonology) فإن العالم الكبير د. ن. ماكيزي المختص باللغات الإيرانية يقسم هذه اللغة إلى ثلات فئات من حيث اختلاف لهجاتها وتوزعها الجغرافي هي: الكردية الشمالية، الكردية الوسطى، الكردية الجنوبية، وبالرغم

من ضيق هذا التصنيف العلمي والأسلوب المجرأ الذي ينسبة إلى اللهجات الكردية، فإن المؤلفات والأبحاث تنسب جميع لهجات اللغة الكردية في المنطقة الشمالية وتجمعها باسم واحد هو الكرمنجية؛ والذي يعبر في الوقت نفسه عن الصفة القومية للأكراد القاطنين في تلك المنطقة. أما لهجات المنطقة الوسطى والجنوبية للأكراد فتسمى صوراين. وهناك اختلافات واضحة وكبيرة فيما بين هاتين المجموعتين بدرجة أنها لا يتفاهمان مع بعضهما البعض.

إن أول لقاء فيما بين الأرمن والأكراد تم حوالي القرنين العاشر والحادي عشر في ذلك الوقت الذي بدأت فيه القبائل الكردية بالتوارد إلى منطقة شمال فاسبوراكان ومناطق أخرى مختلفة من بلاد أرمينيا التاريخية. لكن الهجرات الكردية المتقطعة والمكثفة إلى بلاد الأرمن بدأت في وقت متأخر، وبالتحديد في بداية القرن السادس عشر، والتي كانت مرتبطة بتأثير وزير السلطان المدعو حكيم إدريس والذي كان يسعى إلى سياسة توطين الأكراد في مناطق حساسة وأساسية من أرمينيا^(٣).

إن علم الاستشراق الحديث الذي يبحث في أمور الأكراد يفسح لنا المجال للإجابة عن بعض الأسئلة: ما هو الموطن الأصلي للأكراد ومن أين جاءوا؟ أين هو موطنهم الأصلي؟ في تصوير أنكارب. تبييسكرو فإن العالم ماكينزي وبكتابه المكرس لدراسة أصول ومنشأ اللغة الكردية^(٤)، يخرج بنظرية معتمدة على المعطيات اللغوية ومحافظاً على جميع المقومات العلمية التي مفادها أن موطن اللغة الكردية السلفية هي تقريباً منطقة شمال ولاية فارس في أواسط إيران. وبالاعتماد على الوثائق العربية ودراسة معطياتها بشكل دقيق تم البرهان على أنه اعتباراً من القرون الممتدة ما بين القرن السابع حتى القرن العاشر كان يعيش في إيران، وخاصة في منطقة فارس، عدد كبير من الأكراد (ليس فقط بدو وإنما سكان مدن أيضاً) والذين كانوا يؤلفون تجمعات إقطاعية.

ولتحديد موطن الأكراد الأصليين تم مؤخراً طرح أنكارب جديدة تمثل وجهة نظر العالم (ك. فيتشفوه) في مراجعته لأراء تبييسكرو وماكينزي يؤكد هذا العالم فكرة الانتشار الثلاثي الغارسي - الكردي - البلوشي في منطقة شمال شرق إيران. وهكذا يتقلل الموطن الأصلي للأكراد، حسب رأي هذا العالم، إلى خراسان.

هذه هي آراء العلماء المهتمين حالياً بالقضية الكردية ودراستها. ولنا هنا تساؤلات: لماذا لا نجد في الكتب والمؤلفات التركية أي رأي حول الابحاث التي يقوم بها علماء آخرون من غير الاتراك؟ لماذا لا نجد أي مرجع علمي آخر غير المراجع التركية والتي تبحث قضيائياً الأكراد والمسألة الكردية؟ هل يعني أن هؤلاء السادة الباحثين لا يعلمون بوجود علماء آخرين في العالم يبحثون في هذا الموضوع ولهم نتائجهم المنشورة؟ أم أنهم يتظاهرون بأنهم سذج؟ بالطبع لا،

فالمراجع التي يستفيد منها المؤلفون الاتراك في منشوراتهم ، وكذلك طريقة وأسلوب أبحاثهم ، قد درست وتم التخطيط لها بدقة اطلاقاً من أهدافهم السياسية وتوجيه الدوائر الاعلامية الرسمية الحكومية.

ويتدقيق سيرة حياة هؤلاء المؤلفين الباحثين ، نخرج بمعطيات عديدة أهمها أنهم في غالبيتهم مدرسوون في المؤسسات العلمية الجامعية العليا في تركيا مما يعطيهم المجال لمراقبة وتوجيه الكوادر العلمية الشابة والناشئة في تركيا. فهواء المؤلفون الباحثون يمثلون في الحقيقة الوراثة الطبيعية للسلطان العثماني وزعماء تركيا الفتاة ، وكذلك أفكار الفتنة البرجوازية الاقطاعية الحاكمة ، ونظرتها تجاه الأقليات القومية وسياساتها العملية إزاء هذه الأقليات ، جاهدين في الوقت نفسه لاضفاء مسحة «علمية» على أبحاثهم.

وإذا كانت سياسات الحكم الاتراك تجاه الأقليات القومية ذات الاصول غير التركية اتسمت بأسلوب الضغط والارهاب الدموي في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، وكانت المذابح التي تعرض لها الشعب الأرمني تمثل ذروة هذه السياسة ، فإننا نجد حالياً أن سياسة رجالاتهم الوارثين الطبيعيين لأولئك الحكم المتشبعين بالأفكار الطورانية ، تتبع نفس أساليب التترىك تجاه تلك الأقليات ولكن بشكل ماكر من خلال فرض تلك السياسة بأسلوب «علمي» مزيف مراعاة لروح العصر الحديث.

إن النتائج التي يخرج بها أولئك في مؤلفاتهم وتحليلاتهم غير العلمية لهي دليل قاطع على استمرار اتباعهم لتلك السياسات التي تطمس القضية الكردية بمجملها. ومن هذا المنطلق بالذات فإن أولئك «السادة الباحثين» يجدون أن أفضل الطرق للقضاء على المسألة الكردية تكمن في إقناعنا بأن الشعبين الكردي والتركي منحدران من أصل واحد أي من رحم واحد ساعين في الوقت نفسه لتسخير نظرياتهم «العلمية» لدعم أفكارهم هذه.

عدا عن كل ما سبق فهم يدعون «نظرياتهم» هذه ببراهين من نوع آخر إذ يستنجدون بآراء بعض الشيوخ وقادتهم العسكريين السابقين المتعصبين ، ممن كان لهم باع طويل في ذبح شعوب الأقليات. ففيما يخص الشعب الكردي ، فإن أكثر ما يشير الدلالة هو ما يورده المدعو حمزة كليوني مقدم كتاب جنرال الخيالة التركي سليمان صبري باشا الذي يحمل عنوان (تاريخ وان وأبحاث حول الأكراد التركيين) الذي يقول فيه : «عندما قرأت هذا الكتاب لأول مرة تولدت في ذاكرتي ومخيلي الأحداث الماضية السالفة ، والتي كان جدي الضابط في جهاز الشرطة والأمن يحدثني عنها باستمرار كما بزغت في نفسي الرغبة والشعور لكي أقص وأسرد على الآخرين الذين لم يخالفهم الحظ بأن يكون لهم جد كجدي ولكي يروظ في نفس القراء «المشاعر المقدسة » . لكن ما هي تلك «المشاعر المقدسة» التي يود هؤلاء المؤلفون حقنها في نفوس الجيل

الجديد؟

في مقدمة نفس الكتاب يقترح الكاتب على قرائه طريقة جديدة ومحضرة لغسل عقول الجيل الجديد إذ هو يحاول البرهان على أن الصبغة والتدخلات العسكرية التي قامت بها الدول الأجنبية ضد تركيا كانت كلها محاولة للقضاء على الوحدة القومية والوطنية لتركيا وأن هذه المحاولات لأنزال مستمرة حتى الآن. ويتم هذا المؤلف بدوره المؤلفين والمؤرخين السابقين بالتقسيم في توعية الجيل الجديد بالأحداث التاريخية السابقة ويقترح نشر المزيد من هذه المؤلفات وبهذا الاتجاه، إذ أنها تعتبر من المهمات الأولوية في الوقت الحاضر. وهكذا يبدو للوهلة الأولى أنه لم يبق شيء آخر لم يذكروه. لكن يبدو أنه توجد أشياء أخرى يود هؤلاء السادة إتحافنا بها... .

فأخذ جنرالاتهم المتقدعين، الملطخ سيفه بدماء شعوب الأقليات، يبدو أنه أصبح بالملل، فأخذ يتصفح الكتب التاريخية مثل كتب هيرودوت وغيرها (وتعمق) في دراسة أحداث التاريخ الغابر فشعر بأنه يستطيع أن يكتب الكتب التاريخية وأن يتحفنا بأفكاره في هذا المجال أيضاً. وطلع علينا بنتيجة مضحكة مفادها أن الأتراك كانوا موجودين في هذه الناطق من أيام الأورارديين وحتى قبل ذلك أيضاً في بلاد الآشوريين والسموريين... . ونحن بدورنا لا نريد أن ننقل كاهل القراء الأعزاء بجميع الخزعبلات العلمية التي يوردها هنا الشيخ المتعصب ونكتفي فقط بالنتيجة التي يتوصل إليها هذا الرجل: «إنه من غير المسموح لنا أحياناً، زبماً من غير قصد أو لجهل، أن نسمي تلك المناطق بأرض أرمينستان. فالأتراك يستعملون هذه التسمية لصالحهم. كما أنهم يعتبرون جبل آزارات من أرضهم ويتخذونه شعاراً لهم أيضاً». وهذا حسب رأيه «متعارض مع الحقائق العلمية؟ فمفهوم كلمة أرمينستان كوطن للأرمن يعتبر نوعاً من أنواع الدعاية الموجهة ضد الأتراك... ». فصيري باشا يحاول بواسطة براهين (؟) عديدة إقناعنا بأن الأكراد هم أنفسهم الأتراك ويحاول تفسير سبب استعمالنا لـ«الكلمة الكرد بدلاً من الترك في بعض الأحيان... ». فكلمة الكرد حسب رأيه لا تعني طابعاً لشخصية قوية مستقلة وإنما هي صفة تطلق بمعنى الإنسان التركي الذي يعيش في المناطق الجبلية... .

وهكذا، وانطلاقاً من دوافع انسانية أخوية وأخلاقية لا يجوز أن نطلق على أشقائنا كلمة الكرد... . فالمصادر الانكليزية تفسر الكلمة الكرد بما يعادل الكلمة (اللصوص) لذلك يقترح صيري باشا هذا تعليم هذا الشعب الجبلي المتأخر المتخلف، اللغة التركية للأخذ بيده لتحسينه وترقيته. الباحث الهولندي م. كان برونيس المتخصص بشؤون الأكراد يكتب بهذه المناسبة قائلاً: «اعتبرت الجمهورية التركية خلال سنتين طويلة من عمرها سياسة التنوير والتربیک آنفة الذكر من أولويات مهامها. هذه المهمة التي كانت بمثابة عامل ضغط كبير على الأكراد وكان يحدث العكس

فكلما كان الضغط بهذا الاتجاه كانتأغلبية الاكراد تخلي عن تقبل فكرة (التبرير والتحضير) التركية⁽³⁾.

أما المؤلف التركي آيدين دانير في كتابه «جذور الاكراد وحياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية» فيتحفنا بأفكاره المأخوذة من التاريخ والمصير (المشترك) . . . ما بين الشعوب التركى والكردى فيقول: «اعتباراً من القرن الثاني عشر الميلادى كانت العلاقات ما بين الأتراك والاكراد تتحذ طابعاً ميناً. فقد كانوا يجاهدان معاً في سبيل الدين . . . فالأتراك والاكراد كانوا يعملون معاً وخاصة في العمليات الحربية ضد المغول والأرمن . . .».

وهذا المؤلف ربما يعرف أنه عندما تكذب في الحقائق لابد أيضاً من سرد بعض الحقائق الصحيحة لكي تقنع بأن هذا الخلط الفكري كله صحيح. يتبع فيقول:

«إن الحكم الأتراك وزعماءهم كانوا يطالبون الشعوب الرازحة تحت نيرهم وخصوصاً الفتاة المتنفذة من هذه الشعوب أن تحافظ على النظام والهدوء والكف عن القيام بحركات مناهضة للدولة التركية . . . إلا أنه من خلال حكم السلاجقة والعثمانيين وقعت حوادث وصراعات حربية ما بين الأتراك والأكراد . . . لكن كل ذلك لم يؤثر على العلاقات الأخوية التاريخية بين الأتراك والأكراد». إن أول عصيان مناهض للدولة العثمانية قام به الاكراد كان في بدايات القرن التاسع عشر وبالتحديد في عام ١٨٠٦(٤) وفيها سجل الشعب الكردي صفحة نيرة في نضاله في سبيل تحديد هويته وحقوقه ضمن الدولة العثمانية. ولارتفاع الصفحات النضالية مستمرة حتى اليوم وفي تلك الصفحات ظهر بوضوح المآثر النضالية المشتركة ما بين الأرمن والأكراد في صراعهم ضد العدو التركي المشترك. ويكفينا ذكر ثورة صاصون عام ١٨٦٤ التي قام بها الأرمن والأكراد مجتمعين. في حينه انتصر الثوار وكان من نتيجة ذلك أن امتنعت المنطقة عن دفع الديمة والضرية الى الحكومة التركية لمدة عشرين عاماً.

وفي عام ١٨٦٢ إبان ثورة منطقة وان هب حوالي ٢٠,٠٠٠ من الثوار الأرمن والأكراد من القوى المجاورة لمساعدة أشقائهم الثوار في المدينة المذكورة ضد العدو المشترك^(٥).

فالبراهين والوثائق التاريخية ثابتة ولا يمكن تحريفها. لئن ماذا يكتب وزير داخلية روسيا ت. تولستوي عام ١٨٩٣ في رسالته الى القيسار في ١١ آب من العام المذكور:

«لقد أثبتت تحريراتنا الأخيرة التي قمنا بها أنه توجد اتفاقيات سرية ما بين الأرمن والأكراد والتي بموجتها سيقوم الأكراد بمساعدة الأرمن في الأحوال والظروف العصبية أو الضرورية»^(٦). نعم. لقد حدثت في تاريخ تعامل الشعوب الأرمني والكردي بعض الفترات سادت فيها سياسة فرق تسد. وينتسب جهل أفراد من الشعب الكردي لمهمات تلك الحقبة التاريخية الحساسة وقعت بعض الحوادث المؤسفة ضد الأرمن والتي أضرت بمصالح الشعوب معاً. لكن

منذ بدايات القرن العشرين، أخذ بعض المفكرين والمثقفين الأكراد الذين كانوا يعيشون في المهاجر والمنفى يتفهمون خطورة سياسة فرق تسد التركية هذه، ما بين الشعبين الشقيقين، ويدركون النوايا السوداء التي يخفيها السلطان عبد الحميد ضد الشعب الكردي. ففي صحيفة (كردستان) الصادرة في المهجـر، كتب محررها عبد الرحمن بيك عام ١٩٠١ مقالة موجهة إلى الأكراد والأتراك قال فيها:

«أيها الأكراد: ألا يكفيكم بعد وألتم تخدمون السلطان عبد الحميد وموظفه، هذا السلطان الذي يحرمكم من الحضارة والتقدم والذي يحجب عنكم التمتع بالحرية والحياة الكريمة... مدنـساً شرفكم أمام أنظار جميع شعوب البلدان المتحضرة باتهامكم أنكم لصوص ومرتزقة مجرمون، ولقد استطاع أن يدنس العلاقة الأخوية التاريخية التي كانت قائمة بينكم وبين الأرمن وذلك بإشرافكم في المذابح الأرمنية الرهيبة، وذلك بإلقاء بعثات تلك المذابح عليكم لكي يتملص هـو من كل تلك الجرائم. لكن اعلموا جيداً أن عبد الحميد لن يترككم أنتـم أيضاً نفلتون من عقابه».

ولقد جاءت الأحداث التاريخية المتـوالـية لتثبت نبوءـة كلمـات هذا السياسي الكردي. فبعد المذابح الأرمنية مباشرة، أصبحـت المقاطعـات الشرقيـة خاوية بدون سـكان، وبـقيـ فيها الأكراد منـفردين متـعرضـين لـشـتـى أنـواع العـذـاب والـتـنكـيل منـ قـبـل السـلطـات التركـية. وفيـ عام ١٩١٦ بدأـ التـهجـير الـاجـاري للأـكرـاد إـلـى منـاطـق قـونـية وـأـنـقرـة وـأـسـطـنـة. إنـ الـانتـفـاضـات الثـورـية التي قـامـ بهاـ الأـكرـاد ضـدـ الـحـكـومـة التركـية لمـ تـنـقـطـعـ اعتـبارـاً منـ عام ١٩١٩ وـحتـىـ عام ١٩٣٧. وـتـعـتـبرـ المـرـحلـة ماـ بـيـنـ ١٩٢١ وـ١٩٣٧ أـهـمـهاـ مـنـ حـيـثـ التـأـثيرـ.

دعـونـاـ نـزـ ماـ كـبـتـ جـريـدةـ (الـوقـتـ) التركـيةـ فـيـ آـيـارـ عـامـ ١٩٢٥ـ: «هـنـاكـ فـيـ المـكـانـ الـذـي تـلـمـعـ فـيـ رـايـاتـ الـانتـصـارـ التركـيـةـ، لـاـ وـجـودـ لـمـسـأـلةـ كـرـديـةـ». لـكـنـ اـنـتـصـارـ الـأـتـرـاكـ وـعـمـلـيـاتـهـمـ الـعـسـكـرـيـةـ لـمـ تـسـطـعـ كـبـتـ مشـاعـرـ شـعـبـ باـكـمـلـهـ وـمـحاـولـتـهـ لـنـيلـ حرـيـتهـ، فـالـمـسـيـرـةـ النـضـالـيـةـ لـلـشـعـبـ الـكـرـديـ وـحـرـكـتـهـ التـحرـرـيـةـ مـرـتـ بـفـترـاتـ تـصـاعـدـ وـهـيـنـطـ وـلـكـنـهاـ لـاـنـزالـ مـسـتـمـرـةـ حـتـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ. وـقـدـ تـبـلـوـرـتـ خـالـلـ ذـلـكـ الـأـفـكـارـ الـعـقـائـدـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ لـلـشـعـبـ الـكـرـديـ. فـقـيـ أـوـاـخـرـ الـخـمـسـيـنـاتـ اـتـخـذـتـ الـقـضـيـةـ الـكـرـديـةـ طـابـاـ وـمـسـتـرـيـ جـدـيـدـيـنـ، إـذـ بـدـأـ الـأـكـرـادـ يـطـالـبـونـ بـحـقـوقـهـمـ فـيـ الـحـيـاةـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ الـكـرـيمـةـ مـثـلـ حـقـوقـهـمـ الـقـومـيـةـ وـالـلـغـوـيـةـ وـإـنـشـاءـ الـمـدـارـسـ الـقـومـيـةـ وـإـصـدارـ الصـحـفـ الـغـرـ.

لـكـنـ الـحـكـومـةـ التركـيـةـ وـاجـهـتـ هـذـهـ الـمـطـالـبـ بـالـمـزـيدـ مـنـ العنـفـ وـالـاعـتـقـالـاتـ. أـمـاـ رـئـيـسـ جـمهـوريـةـ تـرـكـياـ كـمـالـ كـورـسـيلـ، فـقـدـ أـصـدـرـ بـيـانـاـ فـيـ الصـحـفـ قـالـ فـيـهـ: إـذـ اـسـتـمـرـتـ أـعـمـالـ الشـعـبـ الـتـيـ يـقـومـ بـهـاـ الـأـتـرـاكـ الـجـبـلـيـوـنـ (يـقـصـدـ بـهـمـ الـأـكـرـادـ)ـ وـإـذـ لـمـ يـرـضـخـوـاـ إـلـىـ الـهـدـوـءـ وـالـنـظـامـ فـإـنـ الـجـيـشـ وـالـطـيـرانـ سـيـسـعـ مـنـ الـوـجـودـ الـمـدـنـ وـالـقـرـىـ الـتـيـ يـسـكـنـهـاـ وـإـنـاـ سـيـنـضـطـرـ إـلـىـ إـقـامـ حـمـامـ

من الدم لن يظل من بعدها لا منهم ولا من بلادهم أي شيء».

بعد هذا التحذير، بدأت عمليات الاعتقال الجماعية والقتل في صفوف المفكرين والمثقفين الاكراد، فاعتقل المفكر كمال برهان والشاعر موسى عنت، ثم قتل أحد الاعضاء المؤسسين للحزب الديمقراطي الكردستاني . وفي عام ١٩٧١ في ٢٧ نيسان بالذات، حكمت السلطات التركية على ٢٦ عضواً من اعضاء المنظمة الثقافية التقديمية لمناطق الاناضول الشرقية بالسجن لمدد تتراوح ما بين (١٠ - ٢٥ سنة) بتهمة القيام بأعمال انفصالية والتعاون مع الحزب الديمقراطي الكردستاني .

وفي عام ١٩٦٧ عندما عادت الأحزاب الطورانية المتعصبة الى الظهور في تركيا بزعامة الشوفيني الجنرال السابق في الجيش ألب أرسلان توركشن، كتب المحرر نهال آتسيز في جريدهم (أونوكين) :

«اما الاكراد، فإذا استمرروا بالتتحدث بلغتهم المؤلفة من حوالى ٤ - ٥آلاف كلمة، وإذا استمرروا في العمل لانشاء دولة لهم فليتعدوا عن تركيا، ولينذهبوا الى حيث شاؤوا. نحن الاتراك اغتصبنا هذه الاراضي بالتصحية بأنهار من الدم وتهجيرنا بالقوة للأرمن والبيزنطيين والقضاء النام عليهم. ففي الحرب العالمية الأولى عندما خاننا الأرمن، بقي الاكراد بعيدين عن منازل أيدينا لأنهم كانوا يعيشون في جبال وعرة وصعب الوصول اليهم. وعلى كل حال فإنهم كانوا يشكلون أقلية في تلك المناطق. واليوم يشكل الاكراد أكثرية في تلك المناطق ولكن أحلامهم بإنشاء دولة مستقلة بهم تشبه أحلام من سبقوهم من الأرمن والبيزنطيين. إن صبر الشعب التركي لا حدود له، لكن عندما ينفد صبرنا، فإننا تحول الى أسود متربصة ملتهبة. فليس الاكراد الأرمن عننا. وليسح مصير الأرمن درساً لهم للامثال به».

ولنقرأ ما ورد في جريدة البرافدا في ٥ حزيران عام ١٩٨٣ : «وكما أوردت وكالة أنباء فرانس برس، انتهت في مدينة دياربكر التركية محاكمة مجموعة من أعضاء (حزب العمل الكردي) فقد حكمت المحكمة العسكرية على ٣٥ عضواً منهم بالاعدام وعلى ٢٨ عضواً بالسجن المؤبد، وعلى ٣٣١ عضواً بالسجن لمدد تتراوح ما بين ٣ - ٢٤ سنة، وهؤلاء متهمون بمحاولة إنشاء دولة مستقلة في الاراضي التركية . وتقول وكالة فرانس برس أنه بعد عودة الحكم العسكري الى تركيا عام ١٩٨٣ انعقدت خمس محاكمات لأعضاء من (حزب العمل الكردي) يبلغ عددهم ٢٥٠٠ شخص».

اما في هذه الايام فهناك فرح وغبطة تعم نفوس الفاشيين الاتراك والسبب هو أن السلطات العسكرية أخلت سبيل زعيمهم الفاشي المدعو «توركشن» من السجن^(٣). ولكي نختتم مقالنا حول (دراسات وأبحاث) الاتراك فيما يتعلق بالأكراد والهدف الحقيقي

الكامن وراء ذلك لابد لنا من ذكر أسماء بعض المؤلفين الاتراك القدميين الذين يكتفون بالوقائع والموضوعية مضمحين في الوقت نفسه بمستقبلهم العلمي و بحياتهم أحياناً ويتعرضون لشئي أنواع الضغط والارهاب. فالباحث الاجتماعي التركي اسماعيل بيشيشين تم الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة سنوات وذلك بسبب إصداره كتاباً بعنوان (نظرة وتأملات تركية للتاريخ والشعب الكردي) المطبوع في أنقرة عام ١٩٧٧.

إن أوساط الدعاية الامبرالية تستغل الأوضاع القائمة في تركيا لتأجيج الحقد في نفوس المتعصبين الشوفينيين والحكام اليمينيين في تركيا حالياً، وذلك باستخدام هذه الأحداث واستغلالها لصالح الدعاية ضد الشيوعية والاتحاد السوفيتي. فهم يحاولون إنقاذ الاتراك بأن (القضية الأرمنية) كانت بسبب سياسات روسيا القيصرية، أما المسألة الكردية وتحريف المحرّكات الانفصالية الكردية ودعمها بالسلاح والتّأييد المعنوي والسياسي فإنها تأتي اليوم من الاتحاد السوفيتي. إن الأحزاب التقديمية في تركيا، وعلى رأسها الحزب الشيوعي التركي، اتخذت موقفها الصريح تجاه ما يفعله حكام تركيا اليوم وهو يدين بشدة الممارسات الطورانية وسياسات الترثيـك التي قامت بها حكومات بلاده ضد الشعوب والأقليات القومية في تركيا والضجة الإعلامية التي ترافقتها حالياً لنذر الرماد في عيون العمال والشغيلة لحرف الانظار عن الممارسات اللا انسانية التي يتعرض لها الشعب الكردي حالياً، كما حدث للشعب الأرمني قبله.

وفي النهاية نقول: لا . . . إن المسائل التي يعالجها أولئك السادة المشتغلون في المركز الثقافي للأبحاث العلمية في أنقرة والمؤلفات والمنشورات التي أرسلت لنا لا تسمى علمًا فهي بعيدة كل البعد عما يسمى بالعلم. هذا الذي تسمونه (أبحاثاً علمية) تفوح منه رائحة جيفة كريهة.

هوماش

- (Christian V. Minorsky, Kurds- El, p.1142), (Minorities of Turkey Brussels, 1979, p. 6), (Hukutuh, (١)
Kyp 961. M. 1963, CT 277)
- (O. Mackenzie, The Origins of Kurdishness, 1961) (٢)
(M. Van Bruinsen. The Kurds in Turkey. Merip Reports, February 1984) (٣)
- ن. ماخمودوف من كتاب (الشعب الكردي) بريفان عام ١٩٥٩ (٤)
من كتاب م. لك نرسبيان بعنوان (النضال التحرري للشعب الارمني وصراعه ضد المستعمر التركي) بريفان عام ١٩٥٥ (٥)
- انظر جريدة (ليراتورنيا غازيتا) العدد الصادر في ٢٢ آيار ١٩٨٥ (٦).